﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [النّحل: 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقة بين كون الـلـه لا يـهـدي من يضلُّ، وبين تمادي الكُفّارِ في الـضَّـلالِ بإنكار البَعثِ

لـمّا ذَكرَ تَعالى أنَّهُ كان من حَقِّ الكُفّارِ - بعدَ قيامِ الأدلَّةِ عَلى كَمالِ قُدرَتِه، وشُمولِ عِلمِه، وبُلوغِ حِكمَتِه، في إبْداعِ جميعِ المخلوقاتِ - تَصديقُ الهداةِ في إعلامِهم بأنَّهُ سُبحانَهُ يُعيدُهم لِلْبَعْثِ، وأنَّهم لم يفعَلوا ولا طَرَقوا لِذلكَ احتمالًا، بَلْ حَلفوا عَلى نَفْيِهِ مِنْ غيرِ شُبْهةٍ عَرضَتْ لهم، ولا إخْبارٍ عَن عِلمٍ وصلَ إليهم؛ أتبعَ ذلكَ سُبحانهُ تَعجيبًا آخرَ من حالِهم، فقال عاطفًا على ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾: مِنَ الفِعْلِ أقْسَمَ يُقْسِمُ إقْسامًا وقَسَمًا، والقافُ والسّينُ والميمُ أصْلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أحَدُهُما عَلى جَمالٍ وحُسْنٍ، والآخَرُ عَلَى تَجْزِئَةِ شَيْءٍ، فالأوَّلُ القَسامُ، وهوَ الحسْنُ والجمالُ، وفُلانٌ مُقَسَّمُ الوجْهِ، أيْ: ذو جَمالٍ، والقَسِمَةُ: الوجْهُ، وهوَ أحْسَنُ ما في الإنْسانِ، والأصْلُ الآخَرُ القَسْمُ: مَصْدَرُ قَسَمتُ الشَّيْءَ قَسْمًا، والنَّصيبُ قِسْمٌ بِكَسْرِ القافِ، وأمّا اليمينُ؛ فالقَسَمُ، قالَ أهْلُ اللُّغَةِ: أصْلُ ذَلِكَ مِنَ القَسامَةِ، وهِيَ الأيْمانُ تُقْسَمُ عَلى أوْلِياءِ المَقْتولِ؛ إذا ادَّعَوا دَمَ مَقْتولِهِم عَلى ناسٍ اتَّهَموهُم بِهِ[2]، ومِنْهُ أقْسَمَ باللهِ: حَلَفَ، كَأنَّهُ جَعَلَهُ مِنْ قِسْمِهِ ومِنْ نَصيبِهِ، أيْ: مَعَهُ، أيْ: أشْهَدَهُ عَلى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 161.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قسم).

ما يَقولُ، كَما في قوله: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾ [البقرة: 204]، وكَما يُقالُ: (عَلِمَ اللّه) بِمَعْنى القسَم أيْضًا[1]، فيَكونُ المعْنى المرادُ للقَسَمِ في هَذِهِ الآيَةِ هو اليمين؛ لأنَّهُم أشْهَدوا اللّه على مَقولَتِهم.

2) ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: الجَهْدُ: المشقَّةُ، يُقالُ: جَهَدَ دابَّتَهُ وأجْهَدَها؛ إذا حَمَلَ عَلَيها في السَّيرِ فوقَ طاقَتِها، وجَهَدَ الرَّجُلُ في كَذا، أيْ: جَدَّ فيهِ وبالَغَ، وجَهَدتُ اللَّبَنَ، فهوَ مَجْهودٌ، أيْ: أخْرَجْتُ زُبْدَهُ كُلَّهُ، وجَهَدْتُ الطَّعامَ: اشْتَهَيْتُهُ، والجَهادُ بالفتْح: الأرْضُ الصُّلْبَةُ، والاجتِهادُ والتَجاهُدُ: بَذْلُ الوُسْعِ والمجْهود[2]، فالجيمُ والهاء والدّالُ أصْلُهُ المشَقَّةُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ما يُقارِبُهُ[3]، ويُمكِنُ جَمعُ هَذِهِ المعاني في إفْراغِ قوَّةِ الشَّيْءِ وقِوامِهِ الَّذي في باطِنِهِ[4]، ومعنى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، أي: بالغوا في اليَمين، واجتهدوا، والجُهد بالضَّمِّ: الوُسْع والطّاقة، وهوَ مِقْدار ما تحمله طاقته دون تكلُّف ومشقَّة"[5]، واليَمينُ: أصْلُهُ الجارِحَةُ، ثمَّ استُعملت في الحَلِف (بالكَسْرِ كَكَتِفٍ: القَسم)، واليَمينُ في الحَلِفِ مُسْتعارٌ مِنَ اليدِ اعتبارًا بِما يَفْعَلُهُ المعاهِدُ والمحالِفُ وغَيْرُه، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، وقَوْلُهم: يَمينُ اللّه، فإضافَتُهُ إليْهِ ﷻ هوَ إذا كانَ الحَلِفُ بِهِ؛ فيَكونُ مَعْنى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ في الآيَةِ محْمولًا عَلى اسْتِفْراغِ الوُسْعِ في اليمين، بِمَعْنى: حَلَفوا، واجْتَهَدوا في الحَلِفِ أنْ يَأْتوا بِهِ عَلى أبْلَغِ ما في وُسْعِهِم[6].

3) ﴿يَبْعَثُ﴾: مِنَ الفِعْلِ بَعَثَ يَبْعَثُ بَعْثًا، والباءُ والعَيْنُ والثّاءُ أصلٌ واحدٌ، وهوَ الإثارَةُ[7]، ومِنْهُ: بَعَثْتُهُ مِنْ نَوْمِهِ، فانْبَعَثَ: أيْقَظْتُهُ وأهَبْتُهُ، وانْبَعثَ في السَّيْرِ: أسرَعَ، فالمعْنى العامُّ هو: إثارَةُ (الحيِّ) مِنْ مَكانٍ يَلْزَمُهُ بِقوَّةٍ فيَنْدفِعُ ناهِضًا أوْ مُبتعِدًا، كَبَعْثِ النّائِمِ والبعيرِ، ومِنْ ذَلكَ بَعْثُ الموْتى مِنَ القُبورِ، وهوَ في كُلِّ القرْآنِ بِهَذا المعْنى، مِثْلُ قَولِهِ: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: 52]، وقَدْ يخرُجُ عنهُ لمعانٍ أُخرى فرْعِيةٍ مِنْها: الإثارَةُ والدَّفْعُ، نَحْوَ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قسم).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (جهد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جهد).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جهد).
(5) محمّد بن فتوح الميورقيّ، تفسير غريب ما في الصّحيحين البخاري ومسلم، ص: 261.
(6) الراغب، المفردات: (جهد).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعث).

عَمَلِ شَيْءٍ ما، وكَذَلكَ إنْهاضُ رَسولٍ أوْ نبيٍّ، أو مَلِكٍ، أوْ حَكَمٍ، أوْ نَقيبٍ[1]، ويَرِدُ البَعْثُ عُمومًا في القُرْآن عَلى ستَّةِ أوْجُهٍ هِيَ: الإلهامُ، والإحياءُ، والإيقاظُ، والتَّسْليطُ، والإرْسالُ، والنَّصْبُ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَكذيبُ الكُفّارِ بِقُدْرةِ الله على البَعْث بعد الموت ضلالٌ وسَفاهٌ

حَلَفَ هَؤُلاءِ المشْركونَ باللّه أيمانًا مُغلَّظَة أنَّ اللّه لا يَبْعَثُ مَن يَموتُ بعدما بَلِيَ وتَفَرَّقَ، بلى سَيَبْعَثُهم اللّه حَتْمًا، وعدًا عليه حَقًّا، ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يَعْلمونَ قُدرَةَ اللّه عَلى البَعْثِ، فيُنْكِرونَهُ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالَةُ (الواوِ) في جملة: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾:

بيان حِكايَة مَقالاتِ الكُفّارِ الشَّنيعَةِ في تَكْذيبِهِم الرُّسُلَ

يُمكِنُ حَملُ الواوِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾، عَلى العطْفِ أوِ الاسْتِئْنافِ، فمَنْ جَعَلَها للاسْتِئْنافِ فحُجَّتُهُ أنَّ في الآيةِ الكريمَةِ انْتِقالًا لِحكايَةِ مَقالَةٍ أُخْرى مِنْ شَنيعِ مَقالاتِهِم في كُفْرِهِم، واسْتِدْلالًا مِنْ أدِلَّةِ تَكْذيبِهِم الرَّسولَ ﷺ فيما يُخْبِرُ بِهِ إظْهارًا لِدَعْوَتِهِ في مَظْهَرِ المحالِ، وذَلِكَ إنْكارُهُمُ الحَياةَ الثّانِيَةَ والبَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ، وذَلِكَ لَم يَتَقَدَّم لَهُ ذِكْرٌ في هَذِهِ السّورَةِ سِوى الاسْتِطْرادِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النّحل: 22][4].

ومَنْ جَعَلَها لِلعَطْفِ فحُجَّتُهُ أنَّهُ لما كانَ مِنْ حَقِّهِم - بَعْدَ قِيامِ الأدِلَّةِ عَلى كَمالِ قُدْرَةِ اللّه ﷻ وشُمولِ عِلْمِهِ وبُلوغِ حِكْمَتِهِ - تَصْديقُ الهداةِ في إعْلامِهِم بِأنَّهُ سُبْحانَهُ يُعيدُهُم لِلبَعْثِ؛ حَلَفوا عَلى نَفْيِهِ مِنْ غَيْرِ شُبْهَةٍ عَرَضَتْ لَهُم ولا إخْبارٍ عَنْ عِلمٍ وصَلَ إلَيْهِم، فأتْبَعَ ذَلِكَ سُبْحانَهُ تَعْجيبًا آخَرَ مِنْ حالِهِم، فعطف على مقولتهم الأولى

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بعث).
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر: 204 - 205.
(3) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 271.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 153.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ مَقولَةً أُخرى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾؛ وذَلِكَ لِأنَّ كُلًّا مِنَ الجُملَتَيْنِ لِبَيانِ تكذيبِهِم الرُّسُلَ والتَّعْجيبِ مِنْهُم في ذَلِكَ؛ دالًّا عَلى أنَّ اعْتِقادَهُم مَضْمونَ هَذِهِ الجملَةِ، هوَ الَّذي جَرَّأهُم عَلى قَوْلِ الأولى وما تَفَرَّعَ مِنْها[1].

دَلالَةُ الفِعْلِ ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ في الآية الكريمة:

لَجاجَةُ الكُفّارِ في الضَّلالِ بإنْكارِ البَعْثِ في المآل

اسْتَعْمَلَ الكُفّارُ فِعْلَ القسَمِ في نَفْيِ البَعْثِ، وغَرَضُهُم بِذَلِكَ الدَّلالَةُ عَلى يَقينِهِم بِانْتِفائِهِ، وإنَّما أيْقَنوا بِذَلِكَ، وأقْسَموا عَلَيْهِ؛ لِأنَّهُم تَوَهَّموا أنَّ سَلامَةَ الأجْسامِ وعَدَمَ انْخِرامِها شَرْطٌ لِقَبولِها الحَياةَ، وقَدْ رَأوا أجْسادَ الموْتى مُعَرَّضَةً لِلاضْمِحْلالِ، فكَيْفَ تُعادُ كَما كانَتْ[2]، وسياقُ الآيَةِ التَّعْجيبُ مِنْ صُنْعِهِم ولَجاجَتِهِم في الضَّلالِ؛ إذْ أقْسَموا بِاللّه، وبالَغوا في تَغْليظِ اليَمينِ، بِأنَّ اللّه لا يَبْعَثُ مَنْ يَموتُ، ووَجْهُ التَّعْجيبِ أنَّهُم يُظْهِرونَ تَعْظيمَ اللّه، فيُقْسِمونَ بِهِ، ثُمَّ يُعَجِّزونَهُ عَنْ بَعْثِ الأمواتِ، وسَبَبُ هَذا القَسَمِ ما قالَه أبو العالِيَةِ: إنَّ رَجُلًا مِنَ المسْلِمينَ جاوَرَ رَجُلًا مِنَ المشْرِكينَ، فقالَ في حَديثِهِ: لا والَّذي أرْجوهُ بَعْدَ الموْتِ، فقالَ لَهُ الكافِرُ: أوَ بَعْثٌ بَعْدَ الموْتِ؟ قالَ: نَعَم، فأقْسَمَ الكافِرُ مُجْتَهِدًا في يَمينِهِ أنَّ اللّه لا يَبْعَثُ أحَدًا بَعْدَ الموْتِ، فنَزَلَتِ الآيَةُ بِسَبَبِ ذَلِكَ[3].

دَلالَةُ الجَمعِ بَيْنَ ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ و﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾:

مُبالَغَةُ الكُفّارِ في نَفْيِ البَعْثِ بتَغْليظِ اليَمينِ؛ مِنَ السَّفَهِ المشينِ

وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ الجمعُ بَيْنَ عِبارَتَيْ ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ و﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾؛ للإبانةِ عَنْ تَغْليظِ الأيْمانِ وقوَّتِها، فقَدْ جُعِلَتِ الأيْمانُ جاهِدَةً لِكَثْرَةِ ما بالَغوا فيها[4]، كَما أنَّ مَعْنَى جَهْدِ الأيْمانِ - بِفَتْحِ الجيمِ - أقْواها وأغْلَظُها،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 161.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 153.
(3) القرطبي، الجامع: 10/ 103.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 161.

وحَقِيقَةُ الجهْدِ التَّعَبُ والمشَقَّةُ، ومُنْتَهَى الطّاقَةِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلى أشَدِّ الفعْلِ ونِهايَةِ قوَّتِهِ؛ لِما بَيْنَ الشِّدَّةِ والمشَقَّةِ مِنَ المُلازَمَةِ، وشاعَ ذَلِكَ في كَلامِهِم، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في الآيَةِ في مَعْنى أوْكَدِ الأيْمانِ وأغْلَظِها، أيْ: أقْسَموا أقْوى قَسَمٍ، وذَلِكَ بِالتَّوْكِيدِ والتَّكْرِيرِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِما يُغَلَّظُ بِهِ اليمينُ عُرْفًا، ولَم يَسْبِق إطْلاقُ الجهْدِ عَلى هَذا المعْنَى فيما قَبْلَ القُرْآنِ[1].

بَلاغَةُ القَسَمِ بِالله تَعالى دونَ سِواهُ:

القَسَمُ تَعْظيم، ولا يُقْسَمُ إلّا بِعَظيم

أقْسَمَ المشْرِكونُ بِالله في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ تَعْظيمًا لله أكْثَرَ مِنْ سِواهُ؛ لأنَّهُ لا يُقْسَمُ إلّا بِعَظيم، والحَلِفُ بِالشَّيءِ تَعظيمٌ لَهُ، وحَقيقةُ العَظَمَةِ مُخْتَصَّةٌ بِالله تعالَى، فلا يُساوى بِهِ غَيرُه، فيُذْكَرُ اسْمُ الجلالَةِ لِإحضارِ المعْنى الجامِعِ لِصِفاتِ الكمالِ[2]، وهَذا وجْهُ التَّعْجيب مِنْ صُنْعِهِم؛ إذْ يُظْهِرونَ تَعْظيمَ الله، فيُقْسِمونَ بِهِ، ثُمَّ يُعَجِّزونَهُ عَنْ بَعْثِ الأمواتِ[3]، "وإذا حلف الرَّجل بالله فقد حلف جَهْد يمينه، فإنَّ الكفّار كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا كان الأمر عظيمًا؛ حلفوا بالله، فإنَّهم يجدون في عقولهم أنَّ الشَّيء إذا صار عدمًا محضًا، لا يعود بعينه، بل العائد يكون شيئًا آخر"[4].

دَلالَةُ جُملَةِ ﴿لَا يَبْعَثُ﴾ في سياق الآية:

تَقْوِيَةُ القَسَمِ عَلى الأُمورِ الغائِبَةِ والخَفِيَّةِ بِعَطْفِ البَيانِ

وَرَدَتْ جُملَةُ ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾، عَطْفَ بَيانٍ لِجُملَةِ ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، وهِيَ ما أقْسَموا عَلَيْهِ، والمُقْسَمُ عَلَيْهِ، يُرادُ بِالقَسَمِ تَوكيدُهُ وتحقيقُهُ، فلا بُدَّ أنْ يَكونَ ممّا يَحْسُن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/ 233.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 40.
(3) القرطبيّ، الجامع: 10/ 103.
(4) الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 3/ 593.

فيهِ ذلكَ، كالأُمورِ الغائِبَةِ والخَفِيَّةِ؛ إذا أُقْسِمَ عَلى ثُبوتِها[1]، وعَطْفُ البيانِ يجْري مجْرَى النَّعْتِ، يُؤْتَى بِهِ لإيضاحِ ما يَجْري عَلَيْهِ، وإزالَةِ الاشْتِراكِ الكائِنِ فيهِ، فهوَ مِنْ تَمامِهِ، كَما أنَّ النَّعْتَ مِنْ تَمامِ المَنْعوتِ[2].

دَلالَةُ حَرْفِ ﴿بَلَىٰ﴾ في الآية الكريمة:

نَفْيُ النَّفْيِ إثْباتٌ يدُلُّ عَلى إيجابِ البَعْثِ، وأنَّه واقِع لا ريب فيه

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، الجوابُ عَلى قَسَمِهِم بِحَرْفِ ﴿بَلَىٰ﴾ للتَّأْكيدِ بأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ يَموتُ، فحَرْفُ (بَلى) لِنَفْيِ النَّفْيِ، فيَتَقَدَّمُ قَبْلَها نَفْيٌ، فيُؤْتى بـ (بلى) لِتَنْفيَ ذَلِكَ النَّفْيَ فيَصيرُ ما بَعْدَها إثْباتًا؛ لأنَّ نَفْيَ النَّفْيِ إثْباتٌ[3]، والمعْنى: بَل يَبْعَثُهُمُ اللهُ، والبَصْريّونَ يَقولونَ: إنَّ (بَلى) حَرْفٌ بَسيطٌ، وزَعَمَ الكوفِيّونَ أنَّ أصْلَها بَل الَّتي لِلإضْرابِ، زيدَتْ عَلَيْها الياءُ لِيَحْسُنَ الوقْفُ عَلَيْها، وضُمِّنَتِ الياءُ مَعْنى الإيجابِ، قيلَ: (بَل) تَدُلُّ عَلى رَدِّ النَّفْيِ، و(الياءُ) تَدُلُّ عَلى الإيجابِ[4].

دَلالَةُ التعبير بـ ﴿مَن يَمُوتُۚ﴾:

الصِّلَةُ أقْوَى دَلالَةً عَلى التَّعْليلِ مِنْ دَلالَةِ المُشْتَقِّ

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾، العُدولُ عَنْ لَفْظِ (المَوْتى)، إلى لَفْظِ ﴿مَن يَمُوتُۚ﴾؛ لِقَصْدِ إيذانِ الصِّلَةِ بِتَعْليلِ نَفْيِ البَعْثِ، فإنَّ الصِّلَةَ أقْوَى دَلالَةً عَلى التَّعْليلِ مِنْ دَلالَةِ المُشْتَقِّ عَلى عِلِّيَّةِ الاشْتِقاقِ، فهُم جَعَلوا الاضْمِحْلالَ مُنافِيًا لِإعادَةِ الحياةِ، كَما حُكِيَ عَنْهُم قَوْلُهُم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النّمل: 67][5].

(1) ابن القيّم، التبيان في أيْمان القرآن: 5.
(2) ابن يعيش، شرح المفصّل: 2/ 271.
(3) السّنقيطيّ، العذب النّمير: 4/ 314.
(4) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 1/ 456.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 154.

موقع ﴿وَعْدًا﴾ ودلالته في الآية الكريمة:

زيادةُ تأكيدِ البَعْثِ لِلْمُبالَغَةِ في نَفْيِهِ

انْتَصَبَ لَفْظُ ﴿وَعْدًا﴾ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ عَلَى المَفْعولِيَّةِ المُطْلَقَةِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى وعَدَ، والتَّقْديرُ: قَدْ وعَدَ بِهِ ﴿وَعْدًا﴾، وبَيَّنَ أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِ﴾ وزادَهُ تَأْكيدًا في مُقابَلَةِ اجْتِهادِهِم في أَيْمانِهِم بِقَوْلِهِ: ﴿حَقًّا﴾[1]، وجاءَ هَذا المَفْعولُ المُطْلَقُ مُؤَكِّدًا لِما دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ الإِبْطالِ مِنْ حُصولِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، ويُسَمّى هَذا النَّوْعُ مِنَ المَفْعولِ المُطْلَقِ مُؤَكِّدًا لِنَفْسِهِ، أَيْ: مُؤَكِّدًا لِمَعْنى فِعْلٍ هوَ عَيْنُ مَعْنى المَفْعولِ المُطْلَقِ[2].

الغرض من الاستعارة في قوله: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ﴾:

البعثُ حقٌّ لا يتخلَّف

في قَوْلِهِ تعالى: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ صورَةٌ بَيانِيَّةٌ بَديعَةٌ، نَوْعُها اسْتِعارَةٌ مَكْنِيَّةٌ، حيثُ شُبِّهَ الوَعْدُ الَّذي وعَدَهُ اللهُ بِمَحْضِ إرادَتِهِ واخْتِيارِهِ، بِالحقِّ الواجِبِ عَلَيْهِ، ورَمَزَ إِلَيْهِ بِحَرْفِ الاسْتِعْلاءِ، والتَّقْديرُ: وعْدًا كالواجِبِ عَلَيْهِ في أَنَّهُ لا يَقْبَلُ الخُلْفَ[3]، فحَذَفَ المُشَبَّهَ بِهِ، ورَمَزَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوازِمِهِ عَلى سَبيلِ الاسْتِعارَةِ المَكْنِيَّةِ، والفضيلَةُ الجامِعَةُ للاسْتِعارَةِ أَنَّها تُبْرِزُ هَذا البيانَ، في صورةٍ مُسْتَجَدَّةٍ تَزيدُ قَدْرَه نُبْلًا، وتوجِبُ لَهُ بَعْدَ الفضْلِ فضْلًا، وإِنَّكَ لتَجِدُ اللَّفْظَةَ الواحِدَةَ، قدِ اكْتَسَبَتْ بِها فوائِدَ، حَتى تَراها مُكَرَّرَةً في مَواضِعَ، ولَها في كُلِّ واحِدٍ مِنْ تِلكَ المواضِعِ شَأْنٌ مُفْرَدٌ، وشَرَفٌ مُنْفَرِدٌ، وفَضيلَةٌ مَرْموقَةٌ، وخِلابَةٌ مَوْموقَةٌ[4].

دَلالَةُ حَرْفِ (لَكِنَّ) في الآية الكريمة:

يحسنُ الاستدراك حيثُ يُتَوَهَّمُ الاشْتِراك

وَرَدَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَصْديرُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 161.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 154.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 154.
(4) الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص: 42.

الجملَةِ بحَرْفِ الاسْتِدْراكِ (لَكِنَّ)؛ لِأَنَّ هَذا الاسْتِدْراكَ ناشِئٌ عَنْ جَعْلِهِ وعْدًا عَلى اللّه حَقًّا؛ إذْ يَتَوَهَّمُ السّامِعُ أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لا يَجْهَلُهُ أحَدٌ، فجاءَ الاسْتِدْراكُ لِرَفْعِ هَذا التَّوَهُّمِ، ولِأَنَّ جُملَةَ ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ تَقْتَضِي إمكانَ وُقوعِهِ، والنّاسُ يَسْتَبْعِدونَ ذَلِك[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(أقْسَموا) و(حَلَفوا):

القسَمُ لليَمينِ الصّادِقَةِ، والحَلِفُ لليَمينِ الكاذِبَةِ

يَتَّضِحُ الفرْقُ بَيْنَ لَفْظَيْ (أقْسَموا) و(حَلَفوا)، من الاشْتِقاقِ اللُّغَوِيِّ لكلٍّ مِنْهُما، فنَجِدُ أنَّ القسَمَ أبلغُ من الحَلِف؛ لِأَنَّ مَعْنى قَوْلِنا: أقْسَمَ باللّه، أنَّهُ صارَ ذا قَسَمٍ باللّه، والقسَمُ: النَّصِيبُ، والمرادُ أنَّ الَّذي أقْسَمَ عَلَيْهِ مِنَ المالِ وغَيْرِهِ، قَدْ أحْرَزَهُ، ودَفَعَ عَنهُ الخَصْمَ باللّه، والحَلِفُ مِنْ قَوْلِكَ: سَيْفٌ حَلِيفٌ، أيْ: قاطِعٌ ماضٍ، فإذا قُلتَ: حَلَفَ باللّه؛ فكَأنَّكَ قُلتَ: قَطَعَ المخاصَمَةَ باللّه، فالأوَّلُ أبْلَغُ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنًى آخَرَ، مَعَ دَفْعِ الخصْمِ، ففيهِ مَعْنَيانِ، وقَوْلُنا: حَلَفَ يُفيدُ مَعْنًى واحِدًا، وهوَ قَطْعُ المخاصَمَةِ فقَط؛ وذَلِكَ أنَّ مَنْ أحْرَزَ الشَّيْءَ باسْتِحْقاقٍ في الظّاهِرِ فلا خُصومَةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أحَدٍ فيهِ، ولَيْسَ كُلُّ مَنْ دَفَعَ الخصومَةَ في الشَّيْءِ؛ فقَدْ أحْرَزَهُ[2].

وَكَذَلِكَ يَلفِتُ صَنيعُ القرْآنِ إلى فرْقٍ دَقيقٍ بَيْنَ (القسَمِ) و(الحَلِفِ)، فإنْ لم نَقُل: إنَّ القسَمَ لليَمينِ الصّادِقَةِ حَقيقَةً أوْ وهْمًا، والحَلِفَ لليَمينِ الكاذِبَةِ عَلى إطْلاقِها؛ فلا أقَلَّ مِنْ أنْ يَكونَ بَيْنَ دَلالَتِهما الفرْقُ بَيْنَ العامِّ والخاصِّ: فيَكونُ القسَمُ لمطْلَقِ اليمينِ بعامَّةٍ، ويخْتَصُّ الحَلِفُ بِالحِنْثِ في اليمينِ، عَلى ما اطَّرَدَ استِعْمالُهُ في البيانِ القرآني[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 154.
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 56.
(3) بنت الشّاطئ، الإعجاز البيانيّ للقرآن، ص: 224.

البعْث والنُّشور:

البـعْـثُ إحْـيـاءُ المَوْتى، والنُّشورُ إخـراجُـهُـم من قُـبـورِهِـم إلى مَوْقِفِ الحساب

يَتَّضِحُ الفرْقُ بَيْنَ لفظَيِ (البَعْثِ) و(النُّشورِ) أنَّ بَعْثَ الخلقِ اسْمٌ لإخْراجِهِم مِنْ قُبورِهِم إلى المَوْقِفِ، ومِنْه قَوْلُه تَعالَى حِكايةً عَن المَوْتى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس: 52]، والنُّشورُ: اسْمٌ لظُهورِ المَبْعوثينَ، وظُهورِ أعْمالِهِم لِلخَلائِقِ، ومِنْه قَوْلُكَ: نَشَرْتُ اسْمَكَ، ونَشَرْتُ فضيلَةَ فُلان؛ إلّا أنَّهُ قيلَ: أنْشَرَ اللّه المَوْتى، بِالألِفِ، ونشَرْتُ الفضيلَةَ والثَّوْبَ؛ للفَرْقِ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ[1]، فالبعْثُ إحْياءُ المَوْتى، والنُّشورُ تَفْريقُهم، يخرُجونَ مِنَ الأجْداثِ، ويَنْتَشِرونَ في الأرْضِ يَتَفَرَّقونَ فيها.

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 289.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»